

دراسات الأدب المعاصر
السنة الرابعة، العدد ١٤، صيف ١٣٩١ش
ص ١١٣-١٣٠

الطبيعة الحية في أشعار إقبال اللاهوري وأبي القاسم الشابي

ليلا قاسمي حاجي آبادي* - زهرا مهاجر نوعي**

الملخص

إذا أمعنا النظر في الشعارين الكبيرين "أبي القاسم الشابي" و"إقبال اللاهوري" وجدناهما من أكبر الشعراء المصلحين الشرقيين الذين اهتموا بالنفس وشجعوا مواطنيهم على معرفة النفس، لأنها مقدمة لمعرفة الله تعالى وبالتالي التحرر من مخالب الاستعمار والأزمات الأخرى لأن الإنسان حينما يعرف نفسه ويعرف ربه رجاء للتقرب إلى الله وعالم المثال والاتحاد به لا يخاف من كل صعوبة في طريقه. يهدف هذا البحث إلى دراسة الظواهر المختلفة للحياة في شعر الشابي واللاهوري كما يهدف إلى الكشف عن حياتهما وثقافتهما ثم البحث عن أهم الموضوعات التي تطرقا إليها. فهما استخدمتا الرمز في بيانهما للحياة والطبيعة وهو أبرز ظاهرة يمثل أشعار الشابي واللاهوري في الحياة.

الكلمات الدليلية: أبو القاسم الشابي، إقبال اللاهوري، الشعر، الحياة، الطبيعة.

* جامعة آزاد الإسلامية في گرمسار، إيران. (أستاذة مساعدة)

** جامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات، طهران، إيران. (طالبة مرحلة الدكتوراه)

Z_Mohajer_N@gmail.com

تاريخ القبول ١٣٩١/٣/١٢

تاريخ الوصول ١٣٩٠/٨/١١

المقدمة

عاش أبو القاسم الشابي وإقبال اللاهوري في زمن كان الاستعمار قد ساد على بلادهما. والاستعمار من أجل السيطرة على الشعوب كان ينشر فكرة الجبر والتقدير المحتوم والخضوع أمام الأمر الواقع واستغل العقلية الساذجة للشعب، فأدى هذا الأمر إلى تحريك عاطفة هذين الشعاعين فاتخذوا موضع الحياة في الطبيعة الميتة. وهذا الموضوع هو موضع واقع بما أنهما يدركانه.

وبناء على هذا دعا الشابي واللاهورى مواطنيهما أن يهتموا بجوهر النفس ويجعلوا الطبيعة الميتة أسوة لحياتهم؛ فاستخدما لسان الرمز لبيان آرائهم عن الاستعمار من جهة وليحثوا مواطنيهما بالسعى والجهد لإدراك المفاهيم المعنية وليحركوا شعور الناس بمثل هذه الأمور، وعاطفتها هي عاطفة صادقة تعبر عن شعورهما العميق أمام رؤية هذه الوقائع.

فهذان الشعاعان قد اتجها نحو الرومنسية ومن خلالها يشيران إلى عالم مثالي ليس إلا التقرب إلى معرفة هذا العالم وهو القرب الإلهي.

فلا فرق بين أن يكونا في عالم الطبيعة من الغابة والصحراء والجبال أو المجتمع الإنساني فيدعوان دائما إلى الحركة ومعرفة النفس كموجة تراها في الحركة دائما ولا تتوقف أبدا. فليست الطبيعة الميتة التي استخدمت في أشعارهما طبيعة ميتة بل فيها روح الحياة ومبدأ حياة أخرى وعن طريقها يمكن الوصول إلى الحب الإلهي الذي يسبب الأمل في الحياة.

أسباب ميل الشابي واللاهورى إلى الطبيعة الميتة

كانت بلاد هند تزرع تحت سيطرة إنجلترا زهاء مائتين عام كما أن البلاد العربية كانت تحت سيطرة الاستعمار من أجل ظروفها الاستراتيجية ومنها تونس التي كانت تزرع تحت سيطرة فرنسا. لقد أدرك الشابي وإقبال هذه الظروف وأحس الظلم، والنهب، والخدعة على مواطنيهما من جانب الاستعمار. لكن العامل الرئيس في سيطرة الاستعمار على هذه الشعوب هي مدهانة الاستعمار وتحذلقه وابتعاد الناس من الجوهر

الوجودى "خود" أو "النفس".

فالاستعمار أوحى إلى الشرقيين بأن سيظرتهم هي من جانب الله و أنهم لا يستطيعون أن يغيروا مصيرهم. فاستهدفت سياسة الاستعمار إبقاء الشعب على حالة من التخلف الفكرى والحيلولة دون قيام أى حركة تنويرية أو محاولة إصلاح مستنيرة. وهكذا أبعدهم عن الاهتمام بالإرادة والنفس، والوجدان وكانت النتيجة بأن الناس نسوا أنفسهم فترى بأنهما ناديا بما ينبغى أن يكون عليه المواطن الغيور من الصفات مثل الاهتمام بجوهرهم النفسى مطالبين من الناس أن يستيتظوا أمام الاستعمار واتخاذ الشعر أداة لدعوة الناس إلى الحياة وما كان ذلك إلا عن طريق الاهتمام بالطبيعة والتغنى بها ونعمات فيها عنف ورقة واضطراب وإثاره لأن الناس بإمكانهم أن يدركوا الطبيعة والكائنات الموجودة بها بسهولة. (صافى، ١٣٦٦ش، ٢؛ ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ٥؛ كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ٢)

ولانسى بأن إقبال كان مهتما بالفلسفة إلى جانب الشعر فجعل الفلسفة والشعر فى خدمة السياسة وإيقاظ الناس واطلاعهم على الاضطهاد الذى تعرض له و بصور فى شعره واقع شعبه المرير.

يقول إقبال:

حق اگر سوزى ندارد حکمت است شعر مى گردد چو سوز از دل گرفت

(كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ٤٤٦)

فيعتقد إقبال بأن الحكمة الواقعية فى المجتمع هي نفس الأوامر الإلهية.

يقصد إقبال من فنه وشعره أن يظهر حزن قلبه وليس هذا الحزن إلا فقدان الوجدان والاهتمام بالنفس بين مواطنيه:

به خاک ما دلى در دل غمى هست هنوز اين كهنه شاخى را نمى هست

به افسون هنر آن چشمه بگشای درون هر مسلمان زمزمى هست

(كليات، ١٣٨٦ش: ٤٨٧)

ولا يرى الشابي الشعر إلا فضاء يرف فيه مقال يقوله الشاعر فى خدمة بلاده

والمعالي، إنه آله تنهد ينفث به ما يجيش في صدره من مشاعر ويتغنى به بما يسره:

ما الشعر إلّا فضاءً يرفّ فيه مقالي

في ما يسرُّ بلادى وما يسرُّ المعالي

(ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ٢٠٠)

ويقول في مكان آخر:

يا شعرُ يا وحي الوجود الحيّ يا لغة الملائِك

غرّد، فأيامي أنا تبكى على إيقاع نايك

(ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ١٨٠)

فعلى ذلك يخاطب الشاعر معتبرا إياه فما للشعور وصرخة للروح الكئيبة وصدى النحيب في قلب العاشق ودما يتفجر من جراح الكائنات. فالشعر عند الشابي وإقبال وسيلة لإظهار شعورهما والشعر من وجهة نظرهما نوع من الإلهام والوحي ويجب على الشاعر أن يفعم شعره من أسرار قلبه والجمال الظاهري والمعنوي أى عليه أن ينتقل شعوره أمام حوادث الدهر وشدائده، إلى القارئ وأن يسايره الناس وقد فعل هذا الأمر بالرمز، والتشبيه، والكناية، والاستعارة و... . وأما الآن علينا أن نبحث عن دوافع "الشابي وإقبال" من الاهتمام بالحياة في الطبيعة الميتة.

دوافع "الشابي وإقبال" من الاهتمام بالحياة في الطبيعة الميتة

إيقاظ شعور الناس أمام الاستعمار والاهتمام بالنفس

أحيى "الشابي وإقبال" صوت الحياة في أنفاس مواطنيهم وجعلوهم يطلّعون بأنّ الجبر والاستسلام أمام مقاصد الاستعمار هو نوع من الموت؛ وأعربا عن الحياة في الطبيعة الميتة، وكيف تجرى الحياة فيها مع أنهما متضادان. وأن يجعل الناس الطبيعة أسوة لأنفسهم. (ضيف، لاتا: ١٤٥ - ١٤٧؛ على حسنى، ١٣٧٧ش: ١١٤)

يصور "الشابي" الحياة في الطبيعة بشعور بسيط ونشوة الجمال ويسأل في قصيدة "يا ابن أمي" أهل بلاده كيف يرضون بذل القيود وحنى الرقاب والحياة تضجّ فيهم

فكيف يسكتون صوتهم في نفوسهم. ويؤكد الشاعر على حرية الإنسان التي منحها الله. (شرح ديوان الشابي، ١٩٩٩م: ١٣٦)

ويؤكد "الشابي" على أن روح الإنسان لطيفة كالنسيم وكنور الضحى الذي يكون حراً. ويقصد الشاعر أن يقول: أيها الإنسان أو المواطن انظر إلى النور الذي نفخ في نفسك وإلى ربيع الوجود، الربيع الذي تحيي النباتات الميتة فيه، جد جوهر النفس ولا تستسلم أمام قيود الاستعمار مهما كانت؛ قد شبه الشاعر الوجود بالربيع لأن الربيع رمز للحياة، والطلاوة. ويحيى كل الكائنات في فصل الربيع فلهذا يذهب سواد الاستعمار الذي ساد على الناس ليأتي مكانه ربيع الحياة:

خُلِقْتَ طَلِيقاً كَطَيْفِ النَّسِيمِ وَحُرّاً كَنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاهِ...
أَلَا انْهَضْ وَسِرْ فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ فَمَنْ نَامَ لَمْ تَنْتَظِرْهُ الْحَيَاةُ
وَلَا تَخْشَ مِمَّا وِرَاءَ التَّلَاعِ فَمَا تَمَّ إِلَّا الضُّحَى فِي صِبَاهِ
وَالرَّبِيعُ الْوَجُودِ الْعَزِيرُ، يَطْرَرُ بِالْوَرْدِ ضَافِي رِدَاهِ

(ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ١٦٥)

ويريد الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يهتم الناس بنور ذاتهم وهذا النور كالحب الذي يستطيع أن يحرر مواطنيه من قيود الذل والهوان ولكن "إقبال" يهتم بالحياة في الطبيعة ويصور مناظر الربيع الخلابة ويقول: الربيع والأنهار تصاوير من الحياة وعلى الإنسان أن يجعل البحر الزخار أسوة لنفسه وينظر إلى الأنهار كيف يكون الأنهار في حالة من التغيير والتحول دائما ولكن النهر والربيع في كلتا الحالتين: سيره السريع والبطيء لا يتوقف أبدا عن الحركة. أي أيها المواطن اعتبر من ربيع الربيع، والورد، وشقائق النعمان. (على حسني، ١٣٧٧ش: ١١٤)

خيز كه در كوه ودشت خيمه زد ابر بهار مست ترنم هزار، طوطى ودرآج وسار
بر طرف جويار، كشت گل ولاله زار، چشم تماشا يار خيز كه در كوه ودشت خيمه زد ابر بهار

خيز که در باغ وراغ، قافله گل رسيد باد بهاران وزيد، مرغ نوا آفريد، لاله گريان دريد
حُسن گل تازه چيد، عشق غم نو خريد خيز که در باغ وراغ، قافله گل رسيد

(كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ٢٣٩)

فشقائک النعمان والورد رمز البهجة والحياة والهيّاج من أجل لونها الأحمر، والجبل رمزٌ للصّلابة والشموخ أى ظلم الاستعمار كسحاب الربيع الذى يمطر بسرعة على الأرض والجبل، ولكن الجبل لاينهدم إثر هذا المطر بل من أجل هطول الأمطار تفتح الورود والحشيش على الأرض. فينبغى أن يأخذ الإنسان بعض التجارب عن الظلم الواقع ولايخضع أمام الاحتلال وأن يهتم بنفسه ويجد جوهر نفسه. فالشابى وإقبال باستخدامها الطبيعة الميتة رمزا للحياة استطاعا أن ينفخا روح الحياة فى أنفُس مواطنيهم.

الإهتمام بالإرادة

الخيال عنصر أساس فى الشعر ومصدر إلهام خيال الشابى وإقبال هى الطبيعة لكن الاهتمام بالطبيعة لايسبب أن ينسى هذان الشاعران الواقع المر فى مجتمعها ولايتسليان مواطنيها بالخيال والرؤيا فقط.

ومعيار الشابى هذا أمر معلوم بما أن الشعر انفعال بجمال الحياة ومنه جمال الطبيعة. يقول "الشابى": «على حسب ما فى الإقليم من جمال وروعة تكن شاعرية الأمة وإن كان كالحا مقشعرا كانت كرة مجدبة.» (الشابى، ١٩٦١م: ٣٣)

يهتم "الشابى" بتنوير الشعب وتنقيفه، والخلص من الاستعمار الهادم ويريد من الآخرين أن يهتموا بإرادتهم لأن الإنسان دون أى إرادته يركن إلى حياة الذل والهوان ويفنى عمره وهو فى عيشته الكزة التافهة. من القصائد الهامة التى يرفض "الشابى" فيها القدر هى "إرادة الحياة". (فرهود، لاتا: ١٠-١١)

إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الحَيَاةَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ القَدْرَ
وَلَا بُدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلِيَ وَلَا بُدَّ لِلْقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِرَ

وَمَنْ لَمْ يَعَانِقْهُ شَوْقُ الْحَيَاةِ تَبَخَّرَ فِي جَوْهَا وَانْدَثَرَ

(ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ٧٦)

فهذه القصيدة صحيحة مدوية تعلن أن الشعوب لا تقهر وأن الصبح آتٍ مهما طال ليل الظلام والليل عند الشابي رمز البؤس، والهول، وعذاب الجحيم، علماً بما كان من الخفقان في المجتمع فلا يريد الشاعر أن يصرح لمواطنيه إلى كلمة الظلم أو الاستعمار بل يستخدم مكانه الليل وتستطيع "إرادة الشعب" أن تزيل ظلام الليل وظلم الرق والعبودية فتتكسر كل القيود. والشابي يستخدم الليل لأن الصبح المنور يأتي بعد الليل كما أن أمل الحياة في الطبيعة الميتة يستطيع أن يكون في الإنسان لأن الضوء بعد السواد والحياة بعد الموت والربيع بعد الشتاء. حتى أن "الشابي" يعتبر شوق الحياة رمزاً للحياة وصعود الجبال رمزاً للجهد وتذليل الصعاب ونبذ السلبية. (طنوس،

٢٠٠١م: ١٥٢؛ حمود، ١٩٩٦م: ٢٩٣)

ودمدتِ الرِّيحُ بَيْنَ الْفِجَاجِ وَفَوْقَ الْجَبَلِ وَتَحْتَ الشَّجَرِ

فالشاعر يمثل الأرض في صورة الأم لأننا كلنا خلقنا منها فيسألها: لماذا تكرهين البشر! فتجيب بأنها تحب الذين يتجشمون الأخطار لبلوغ الحرية؛ أي الذين يهتمون بإرادتهم ولا يخافون من شدائد الدهر:

وقالت لي الأرض لَمَّا تَسَأَلْتُ يَا أُمَّ هَلْ تَكْرَهِينَ الْبَشَرَ!

أيارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذُّ ركوبَ الخطرِ

(ديوان الشابي، ١٩٩٩م: ٧٧)

وانظر إلى الأبيات التالية كيف يستخدم الشاعر الرمز لتيقظ الإحساس في روح الشعب وتحرك الأشواق والرغبات الكامنة في صدره:

يجيء الشتاء شتاء الضياب شتاء الثلوج شتاء المطر

فينطفئ السحر، سحر الغصون وسحر الزهور وسحر المطر

وتهوى الغصون وأوراقها وأزهارٌ عهدٍ حبيبٍ نضر

(ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ٧٧)

غير خفى أن ما يرمز إليه الشاعر فى هذه الأبيات لا يقتصر على مظاهر الطبيعة وإنما يتطبق على كل الكائنات الحية وعلى البشر بصورة أخصّ أفراداً أو جماعات وهو ينبغى من وراء ذلك أن يذكر الشوق فى قلوب الناس وفى قلوب التونسيين بخاصّة وإلى الحياة وما ينطوى عليه من سحر الوجود وجماله والحياة التى ينادى بها حياة المعرفة والحضارة حتى تخرج الأمة من ظلامها الدامس إلى إشراقه النور البهيجة فتحقق لنفسها حياة حرّة كريمة وتغدو جديرة بالاحترام والتقدير.

فإقبال أيضاً يطلب كالشابى من شعبه أن يهتموا بارادتهم ويرفض "القدر المحتوم" لأن المفهوم السارى للقدر عند مواطنيه هو أن الإنسان ليس له أن يدخل فى ساحة العمل فى هذا العالم ولاحقّ له فى حرية العمل ولافائدة لجهده وسعيه؛ ولكن "إقبال" يؤكد فى أشعاره خاصة أشعاره حول الطبيعة على أن الإنسان يستطيع أن يجعل الطبيعة أسوة له ويبنى المستقبل المضيّ لذا يرفض "إقبال" الغربيين الذين يعبدون المادة ويريد من مواطنيه أن يقوموا من مكانهم ويدفعوا هؤلاء الغربيين الذين يعبدون المادة ومن قصائده هذه "از خواب گران خيز": (منور، ١٩٨٩م: ٦٣)

ای غنچه خوابیده چو نرگس نگران خیز کاشانه ما رفت به تاراج غمان خیز
خورشید که پیرایه به سیماب سحر بست آویزه به گوش سحر از خون جگر بست
از دشت و جبل قافله ها رخت سفر بست ای چشم جهان بین به تماشای جهان خیز

از خواب گران خواب گران خواب گران خیز

از خواب گران خیز

(کلیات إقبال، ١٣٨٦ش: ١٥٢)

قد شبّه اللاهورى شعبه بالبرعم الذى قد نام أى يعتبر شعبه فى رقة الإحساس كهذا البرعم النائم الذى لا يهتم بإرادته من أجل لطافته ورقته ويطيع أوامر الاستعمار مهما كانت. يريد الشاعر من شعبه أن يقوموا من مكانهم قلقين كالنرجس لأن النرجس يفتتح وآية من القلق فيه، بياضة الورد فى دائرة وصفرة فى مركزه فيبدو مقلقاً والأبيض

والأصفر هما من الألوان التي تتداعى الحياة لأن فيها نشاط ورونق وطلاوة وأمل وجهد وحياة.

يدعو الشاعر مواطنيه أن يكونوا كالنرجس لا كالبرعم النائم وكالشمس لأن الشمس تأتي بعد الليل الذي هو رمز البؤس والهول والحيرة والقلق وهذه الشمس قد أتت بعد الليل واجتازت السهول والجبال، الجبال التي الاجتياز منها رمز لتذليل الصعاب. فعلى الناس أن يتخذوا الشمس أسوة بحياتهم ويجتازوا كل هذه المصاعب. ويجعلوا المستقبل المضيء أمامهم ولا يكونوا عديم الشعور أمام المجتمع.

فلنسمع معا قول اللاهوري حيث يقول: «ينتخب كل امرئ عصيره وكل امرئ كوكب إقبال الشعب.» (منور، ١٩٨٩م: ٦٣)

الثورة على الظلم والدعوة إلى الحرية

يعتقد الشابي أن الشعب سينتصر يوما على الظالم المستبد مهما بذر الظالم أشواك الأسي وقد شبه الشابي في قصيدته "الزنبقة الداوية" شعبه بالزنبقة وهي رمز النفس البريئة في حالة تعاقب لوعة الدهر والغرض هنا ظلم الاستعمار ولكن الغروب قد أصب على هذه الزنبقة الدم المائل إلى السواد والغروب هو رمز الحزن والتجيع رمز الظلم ومصاعب الدهر.

حرّض الشاعر شعور مواطنيه بلفظ الغروب، ونجيع الحياة، ودمع المساء لان كلها يعدّ رمز الحزن وهذا الحزن من عمل الاستعمار: (حمد والدقس، لاتا: ١١؛ ديوان الشابي، ١٩٩٩م: ٢٥٧)

أزْبَقَةُ السَّفْحِ، مَالِي أَرَاكِ تُعَانِقُكَ اللَّوْعَةُ الْقَاسِيَةُ؟

أَصَبَّ عَلَيْكَ شُعَاعُ الْغُرُوبِ نَجِيعَ الْحَيَاةِ، وَدَمْعَ الْمَسَا

(ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ٢٥٧)

وفي النهاية يرى الشابي القيام على الاستعمار والوصول إلى الحرية في الموت لأن الموت عنده انتقال الإنسان إلى حياة روحية خالصة أغزر معرفة من الحياة التي كان يحيها الإنسان بجسده وقد تعرج الروح وتخلد إلى الذات الإلهي فتغبط بمشاهدة الله

ومعرفته تاركة وراءها الجسد حليف التراب. (حمود، ١٩٩٦م: ٢٩٣)
فَحَزَنِي وَحُزْنُكَ لَا يِرْحَانِ أَلْيَقِينَ، رُغْمَ الزَّمَانِ الْعَصِيبِ
فَفَرَّقْدُ تَحْتَ التُّرَابِ الْأَصْمِّ جَمِيعاً عَلَى نَعْمَاتِ الْحَزَنِ

(ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ٢٥٩)

كما أن "اللاهوري" أنشد في القيام ضد الاستعمار والحث على الحرية قطعه باسم "كبر وناز" ونهر الجبل رمز للنفس البريئة والثلج رمز الاستعمار، جرت بينهما محادثات. يسأل "الثلج" الكبر والغنج عن نهر الجبل لماذا تجرى في التراب وتجعل سحاب السهول والوديان يذهب إلى المروج والنهر يجيب: لا تغنج عليك، أنا أذهب لأنني لألبي بهذا العالم و احفظ نفسك من الغرور. قد يعدّ "الشاعر"، الإنسان البرئ كالنهر الذي لا يتعلق قلبه بالدنيا ولا يخاف من شيء ويجرى كالنهر بالحماس والهيّاج في التراب ثم يذوب ويذهب إلى السماء وعلى السهول والإنسان بموته يصل إلى الذات الالهية وتفتح له أبواب مغلقة وتكشف له أسرار الحب الصحيح الذي يفتقده في هذا العالم. (كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ٢٤٥؛ أفكار إقبال، ٢٠٠١م: ١٧٠؛ بقائي، ١٣٨٥ش: ٥٥)

بخ، جوى كوه را ز ره كبر وناز گفتم: ما را از مويه تو شود تلخ روزگار

گفتم آب جو چنين سخن دل شکن مگوی بر خويشتن مناز و نهال منى مكار

من مى روم كه در خور اين دودمان نيم تو خوى را ز مهر درخشان نگه دار

(كليات إقبال لاهوري، ١٣٨٦ش: ٢٤٥)

يرى "الشابي وإقبال"، الحياة دون أى جهد وسعى كالموت يقول "إقبال":

«الموت بالشرف هو الحب والحياة دون الشرف هو الموت.» (منور، ١٩٨٩م: ٢٠٠)

غرض الشابي وإقبال من ذكر الحياة فى الطبيعة الميتة

الحب

الحب محور أساسى فى الشعر وهو مصدر الوحي للشاعر والحب هو آية للحياة

في أشعار الشابي ولكن هناك سؤال وهو من أين أخذ "الشابي" هذا الحب؟ ومن أين أتى هذا الحب الذى يتربى عنصر الخيال فى شعر الشابي؟ قد اهتم "الشابي" فى حبه بعالم المثال والوصول إلى الله عز وجل، وعالم المثال هو العالم الذى يأتى الإنسان من هناك إلى عالم المادة وتدنس نفسه بسبب الابتعاد من ذات الله؛ يقول "الشابي": «فإن وظيفة الشعر وظيفه روحية إلهيه تشلنا من عالم الدنس فتصلنا بالله الذى يمثل الجمال والحق والمحبة.» (طنوس، ٢٠٠١م: ١٨٩)

كما أنه يقول نعيش مع الحبّ ومن أجل الحب وللحب. هو يبحث عن هذا الحب فى الطبيعة الميتة هكذا؛ الصبح ملئ من النور والبراءة وهو رمز الله ويملاً هذا الصبح الأفق ويوقظ بغناه الذى يكون هو رمز النور فى الحياة الناعسة وهو رمز شعبه. (ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ٢٠٣)

أقبل الصبح يغنى للحياة الناعسة
أقبل الصبحُ جميلاً يملأ الأفقَ بهاه

(المصدر السابق: ٢٠٣)

والغابة مكان أمن بعيدة عن الحياة الصاخبة ومكان لسعى الراعى الجميل ومنبع لوحى الشاعر وهى رمز لعالم المثال لأنها بريئة وبعيدة من الدنس وهنالكَ ارتياح البال وسكينة الحياة. هو يلدجاً إلى الغابة ليبتمس لروحه الثائرة الطمأنينة والسكينة ويقول:

إننى ذاهب إلى الغاب يا شعبي لأفضى الحياةَ وحدى بيأس
أننى ذاهبٌ إلى الغاب لعلّى فى صميم الغابات أدفنُ نفسى
سوف أتلو على الطيور أناشيدي وأفضى لها بأشواقِ نفسى
فهى تدرى معنى الحياةِ و تدرى أن مجدَ النفوسِ يقظةٌ حسّى

وكما هو الواضح إن هذا فرار إلى داخل النفس وإن اتخذ من الغابة ملاذاً. يعتبر الشابي السعى الجميل فى الحى النبيل أى الحى الذى يبعد نفسه من الدنس

ويحرك إلى النور والصبح وكما أن الصبح يجرى على الزهور اليابسة ويفعم العالم
يجب على الإنسان أن يجرى إلى النور لأن الزهور اليابسة تنتعش من النور ويستطيع
الإنسان أن ينتعش من النور والصبح مهما تظغى مصائب الاستعمار والدهر عليه
ويكون قلبه ميتاً: (ديوان الشابي، ٢٠٠٣م: ١٠٥)

لَكَ فِي الْغَابَاتِ مَرَاعٍ، وَ مَسَاعٍ الْجَمِيلِ
فَهَلُمَّ نُرْجِعِ الْمَسْعَى إِلَى الْحَى النَّبِيلِ

(ديوان الشابي، ١٩٩٩م: ٢٠٥)

ولكن "إقبال"، يرى الحب أمراً ضرورياً لاستحكام النفس ومادام الحب ليس فى
نفسنا فلا حياة للإنسان وأما إقبال فيم يعلم الحب؟ يعتقد هذا الشاعر يجب أن تجرى
محبة فى فؤاد الإنسان ليحرق قلبه منها. والحب عند إقبال رمز لله ويراه أحلى من
الروح، والهدف، والمحبوب، والمقصود: (ساکت، ١٣٨٥ش: ٥٨-١٥٩)
عشق اگر فرمان دهد از جان شیرین هم گذر عشق محبوب است و مقصود است و جان مقصود نی

(كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ١٦٠)

التغريد هو رمز للسعى والجهد، والنهر هو رمز للنفس البريئة ويتعلم هذا السعى من
النهر أن هذا النهر يجتاز الهوة ولا يتوقف أبداً عن الحركة بين الضحور. وهذه الحركة،
والنبضات، والجهد كلها يتجه فى الحب إلى الله ويرى "إقبال" أنه على الإنسان أن
يسمو من روضة الورد ويعتبر نفسه فى هذه الروضة غريباً وحديقة الورد هى رمز
العالم كما أنه يرى بأن القلب دون أى عشق وحب بارد وكثير ويحتاج إلى الحركة
وهذه الحركة فى نفس الإنسان تسير إلى الله الذى يعطى الحرارة والحياظ بروحه
وقلبه. (كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ١٦٠)

نغمه پردازی ز جوی کوهسار آموختم در گلستان بوده ام یک ناله درد آلود نی

پیش من آیی دم سردی دل گرمی بیار جنبش اندر توست اندر نغمه داود نی

(كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ١٦٠)

وبناء على هذا يبحث هذان الشاعران المصلحان عن الحب فى الحياة فى الطبيعة الميتة

والحب حتى في الطبيعة الميتة والطبيعة مع الحب ليست ميتة بل حية وفيها حياة ويقول الله عزوجل: «منها خلقناكم، وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى» (طه: ٥٥)
والحب إلى الله هو نور أو نار يجرى في الطبيعة ويعطى عليها الحياة يقول
"الشابي":

أيها الحب! أنت سرّ وجودي وحياتي، وعزّتي، وإبائي

(ديوان الشابي، ١٩٩٩م: ١٢)

ويقول "إقبال":

من ندانم نور يا نار است اندر سينهام اين قدر دانم بيا من او به مهتابي زند

(كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ١٦١)

الإيمان بالله والأمل إلى الحياة

يرى "الشابي وإقبال" الإيمان بالله والأمل إلى الحياة عن مجرى الحياة في الطبيعة الميتة؛ والإيمان بالله هو شرط للأمل إلى الحياة.

لكن كيف يعتبر الإيمان بالله شرطاً للأمل إلى الحياة في الطبيعة الميتة؟

في المرحلة الأولى: يجب على الإنسان أن يعرف "النفس" وحينما عرف نفسه يستطيع أن يعرف الله عز وجل ويقال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» لكن الإيمان بالله كيف يحصل؟ حينما ننظر إلى الطبيعة قد نرى تحولا في الطبيعة أي يأتي الربيع الجميل بعد الشتاء، والصبح الباسم بعد الليل وكل هذه الأمور تدل على قدرة الله تعالى وعلى هذا نؤمن بالله الذي يجرى روح الحياة في الطبيعة الميتة ويحيى الميت يوم القيامة كما أنه يجرى روح الحياة بين الناس. كما أنه تعالى قال: «أإذا متنا وكنا ترابا وعظاماً أإنا لمبعوثون» (المؤمنون: ٨٢؛ الواقعة: ٤٧؛ صافات: ٦ و١٦)

أو «أيحسب الإنسان أن ننجمَ عظامه؟! بلى قادرين على أن نسوي بنانه»

ويقول "الشابي":

أيها الحب، أنت سرّ وجودي وحياتي، وعزّتي، وإبائي...

فَبِحَقِّ الْجَمَالِ، يَا أَيُّهَا - الْحُبُّ، حَنَائِكَ بِي! وَهَوْنٌ بِلَائِي

(ديوان الشابي، ١٩٩٩م: ١٢ و١٣)

والحُبُّ في هذه القصيدة هو الله تعالى، الله الذي يعشقه الشابي ويطلبه أن يساعده في شدائد الدهر وهكذا يجري "الشابي" الحب لله بين مواطنيه. ويعلم أن الله تعالى قادر على كل شئ ويريد منهم أن يؤمنوا بقدرة الله تعالى. (ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ١٢) ويقول "الشابي":

أَلْهَيْبٌ يُثَوِّرُ فِي رَوْضَةِ النَّفْسِ فَيَطْفِئِي، أَمْ أَنْتَ نُورُ السَّمَاءِ؟

(ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ١٢)

وكما أن "اللاهوري" يعتبر معرفة النفس رمزا للحياة والإيمان بالله ويقول هكذا في واحد من أغانيه الأردنية: «حينما لم تعرف رازقك تحتاج إلى ملوكك وإن عرفته يحتاج ملوكك إليك، لأن الاستغناء وكرامة النفس من صفات الملوك وعبادة البطن هو موت الروح.» (حسنى ندوى، ١٣٧٧ش: ٣٧) ويقول "إقبال":

زندگانی نیست تکرار نفس اصل او از حی و قیوم است و بس

قرب جان با آنکه گفت إني قريب از حیات جاودان بردن نصیب

(کلیات إقبال، ١٣٨٦ش: ٤٠٧)

يرى "إقبال" أنه يجب على الإنسان أن يجاهد حب الذات، والذاتية حتى يؤمن ويصل إلى الله تعالى ويأخذ زمام النفس بيدها. (كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ٢٥٥) ساحل افتاده گفت گرچه بسی زیستم هیچ نه معلوم شد آه که من چیستم موج ز خود رفته‌ای تیز خرامید و گفت هستم اگر می روم گر نروم نیستم

(کلیات إقبال، ١٣٨٦ش: ٢٥٥)

يبين "اللاهوري" بأن الإيمان بالله هو في الطبيعة الميته، الشاطئ هو رمز الإنسان دون العمل، والجهد، والسعي؛ والموجة رمز للإنسان الساعي. تؤمن الطبيعة الميته بالله، والشاطئ من أجل سكونه لا يعلم من نفسه شيئاً ولكن الموجة من أجل صراخته يرى

نفسها متحدًا بالله وأحبت الموجة هذا الاتحاد. وعلى هذا يحرك "اللاهوري" شعور الناس بأن الشاطئ لم يعرف نفسه من أجل سكونه ولكن الموجة عرفت نفسه من أجل حركته، ويجب على الإنسان أن يعرف نفسه حتى يعرف الله ويؤمن به. (كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ٢٥٥)

المرحلة الثانية: الأمل إلى الحياة؛ بعد أن الإنسان عرف نفسه وربّه يصبح راجياً إلى الحياة. وبيحث "الشابي" عن هذا الرجاء في الطبيعة الميتة ويسأل "الشابي"، ماذا يكون بعد الليل؟ في حالة الليل رمز للخوف، والشقاء. هل خلفك نور أم ظلام؟ في حالة النور فهو يرمز إلى الأمان والمثال الروحي الجميل. يوجّه "الشابي" قارئيه بنوع من الشك ويستعمل الرمز أو يريد أن يجبر قارئيه على البحث والتفكير حتى يصلوا إلى هذه النتيجة؛ يأتي الصبح اللامع بعد خوف الليل ويجب على الإنسان أن يرجو إلى الحياة فهو قد أفنى روحه للتغنى بالحياة وإيقاظ الأرواح الخاملة. (ديوان الشابي، ١٩٩٩م: ١٧٥-١٧٧)

ما الذي خلفك يا - ليل... أنور أم ظلام؟

هل سيبدو الفجر - بسّاماً كعذراء الخلود؟

(ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ١٧٦)

يخاطب "الشابي" الطبيعة الميتة ويعلم بأن الصبح الضاحك البرئ يكون رمزاً للبراءة وخالداً مثل العذراء التي تكون بريئة. غرض الشاعر في النهاية؛ هو إتيان الفجر بعد الليل والرجاء إلى الحياة، والوصول إلى البراءة، وعالم المثال. وليس الشتاء والليل نهاية الحياة: (ديوان الشابي، ١٩٩٩م: ١٩٢) فهو يرى في الموت أيضاً روحاً وحياةً.

إلى الموت، فالموت روحٌ جميلٌ، يرفرفُ من فوقِ تلك الغيوم...

ويبعث فيها ربيع الحياة ويبهجها بالصباح الفروح

(ديوان الشابي، ١٩٩٧م: ١٩٣)

ولكن "اللاهوري" مثل الشابي راج بأن يأتي الفجر بعد الليل. ويريد أن يهتم

مواطنيه لفجر يوجد فيه تجلي أنوار الحق. (كليات إقبال، ١٣٨٦ش: ٤٨٩)

در آن شب ها خروش صبح فرداست که روشن از تجلی های سیناست

تن و جان محکم از باد در و دشت طلوع امتان از کوه و صحراست

(کلیات إقبال، ۱۳۸۶ش: ۴۸۹)

یرید الشاعر أن يهتم قارؤه بالاتحاد مع الله ويشير إلى الصبح الذي يكون كل هذه الأمور آية من الله تعالى. والريح رمز للقوة والقدرة، ويستحکم الجسم بهذه الريح أي لا ينحنى الإنسان أمام شدائد الدهر وحينما لا ينثنى الإنسان أمام هذه المصاعب فتطلع الأمم من جبل؛ والصحراء يكون رمزاً للاستقامة، والصبر. وعلى هذا يتابع الشاعر الرجاء للحياة في الطبيعة الميتة ويبين لنا بعض آيات من الحياة فيها.

ومن حركة الطبيعة يصل إلى الله. (کلیات إقبال، ۱۳۸۶ش: ۴۸۹ و ۱۶۷)

صورتگری که پیکر روز و شب آفرید از نقش این و آن به تماشای خود رسید

صبح و ستاره و شفق و ماه و آفتاب بی پرده جلوه ها به نگاهی توان خرید

(کلیات إقبال، ۱۳۸۶ش: ۱۶۷)

وقد جعل الشابی واللاهوری الله تبارک وتعالى محورا وأساسا لكل الأمور وهدفهما من الدعوة إلى الاتحاد بالله والأمل إلى الحياة هو أن يصمد شعبه أمام كل هذه المشاكل.

يقول "الشابی":

الحُبُّ رُوحٌ إلهي، مُجَنِّهَةٌ أيامُهُ، بيضاءُ الفَجْرِ والشَّفَقِ

يطوفُ في هذه الدنيا، فيجعلُها، نجماً، جميلاً، ضحوكاً، جدِّ مؤتَلِقِ

(ديوان الشابی، ۱۹۹۷م: ۱۱۳)

ويقول "اللاهوری":

عشق را نازم که بودش را غم نابودنی کفر او ز ناردار حاضر و موجود نی

عشق اگر فرمان دهد از جان شیرین هم گذر عشق محبوب است و مقصود است و جان مقصود نی

(کلیات إقبال، ۱۳۸۶ش: ۱۶۰)

النتيجة

إن الشابي واللاهوري من الشعراء البارزين في العالم العربي الذين عبّروا عن واقع أمتهم وأمانيتها التي تمثلت في التخلص من واقع الاحتلال التي جثم على صدور الأمة العربية وحاولوا استنهاض همم الشعب عن طريق التذكير بالطبيعة لإيقاظ الأرواح الخاملة وجعلا الحب محور كل الأمور في العالم وهذا الحب هو الحب المثالي للوصول إلى المحبوب. فمردّ كل شئ إلى الله إذا لا يوجد أى موت و فناء في الطبيعة فيجربى روح الحياة في الطبيعة. فالإنسان بهذا الفكر لا ييأس من الجهاد أمام الاستعمار ويأخذ من الطبيعة درسا لا يتوقف عن الحركة أبدا.

المصادر والمراجع

- ١) القرآن الكريم.
- ٢) بقايبى، محمد. ١٣٨٥ش. اقبال و ده چهره ديگر. تهران: انتشارات حكاييتى ديگر.
- ٣) حمد والدقس، فؤاد. لاتا. تاريخ أدباء العربية (ابوالقاسم الشابي). لبنان: دار القلم العربى.
- ٤) حمود، محمد. ١٩٩٦م. الحدائث فى الشعر العربى المعاصر بيانها ومظاهرها. بيروت: الشركة العالمية للكتاب.
- ٥) ساكت، محمد حسين. ١٣٨٥ش. تهران ماهتاب شام شرق. تهران: ميراث مكتوب.
- ٦) ستوده، غلامرضا. ١٣٦٢ش. مجموعه مقالات كنگره جهانى بزرگداشت علامه إقبال لاهورى. تهران: انتشارات دانشگاه تهران.
- ٧) الشابي، ابوالقاسم. ١٩٦١م. الخيال الشعرى عند العرب. تونس: الشركة القومية للنشر والتوزيع.
- ٨) _____ ١٩٩٧م. ديوان. شرح يحيى شامى. بيروت: دار الفكر العربى.
- ٩) _____ ١٩٩٩م. ديوان. شرح غريد الشيخ. بيروت: مؤسسه الأعلمى للمطبوعات.
- ١٠) صافى، قاسم. ١٣٦٦ش. سفرنامه پاكستان. تهران: انتشارات كلمه.
- ١١) ضيف، شوقى. لاتا. دراسات فى الشعر العربى المعاصر. مصر: دارالمعارف.
- ١٢) طنوس، جان. ٢٠٠١م. ملامح الموت والحياة فى شخصية الشابي وشعره. دمشق: دار علاء الدين.
- ١٣) عمر، محمد سهيل. ١٩٩٩م. هر چه گوید دیده گوید. ترجمه آفتاب اصفر. پاكستان: اقبال آبادى پاكستان.

- ۱۴) علی حسنی ندوی، ابوالحسن. ۱۳۷۷ش. افکار شگفت اقبال. ترجمه ابوشعیب عبدالقادر دھقان. لامک: انتشارات شیخ الإسلام.
- ۱۵) فرهود، احمد عبدالله. ۱۹۹۸م. تاریخ شعراء العربیة. حلب: دارالقلم العربی.
- ۱۶) لاهوری، اقبال. ۱۳۸۶ش. کلیات اقبال. تحقیق عبدالله اکبریان راد. تهران: الهام.
- ۱۷) ممتحن، مهدی وحسن مجیدی. ۱۳۹۱ش. «تطبیق نوستالژی در اندیشه جبران ونیما». فصلنامه مطالعات ادبیات تطبیقی. السنة السادسة. العدد ۲۱. صص ۲۱۵-۱۸۹.
- ۱۸) منور، محمد. ۱۹۸۹م. ایقان اقبال. ترجمه شمین مقدم صفیاری. پاکستان: اقبال آکادمی پاکستان.